الفتاة

الجزء الخامس من السنة الاولى

فى ١ نيسان «افريل» سنة ١٨٩٣

موافق ١٤ رمضان سنة ١٣١٠

مصر وبغداد وقرطبا واوربا

(مصر)

ما مثل مصر فى الورى بلـدة　　سكانها ترتع فى نعيمها

نسيمها ألطف شى في الورى　　وأهلها الف من نسيمهـا

من قبل فرعون سيترابيس بل من نحو ٢٠٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحى كانت دولة الفراعنة زاهية زاهرة، وكانت الآداب والتمدن مع العلوم والمعارف آخذة بالتقدم والنجاح

ولما بيع يوسف الصديق من إخوته الى الإسماعيلية ومنهم الى فونيفار عزيز مصر رأى امرأة سيده راعيل او زليخا تهز اعطاف المحاسن، وتجر أذيال المفاخر، وتتيه بأنواع الحلى وتتباهى بأوصاف المحامد، وهى كما قال فيها بعض واصفيها رشيقة القد معتدلة الجسم مقوسة الحاجبين ناعسة الطرفين فصيحة اللسان قوية الجنان أو كقول الرقشاء

من رآها يقول ظبية أنسٍ　　أو هلال جلا ضياءُ السحابا

كانت كما هى العادة عند معظم نساءِ الشرق مخضبة اليدين والقدمين والأضافر مكحلة الجفن، وكان من حلاها القلائد والأقراط والدمالج والخواتم والخلاخل

المصاغة من الذهب والفضة

وكان الرجال فى ذاك العصر يشاركون النساء في كافة الهيئات وجميع الأعمال بل وكان للمرأة المركز الأول فى معابدهم وولايمهم ومراقصهم بأكثر مما نراهُ الآن بين نساء الأفرنج، وكان لهن في المراقص أثواب لا يلبسنها فى غيرها، وهذه الأثواب كانت طويلة رفيعة بيضاء مقطوعة الأكمام مفتوحة الصدر كالاثواب التى يلبسها النساء فى المراقص الأفرنجية (الباللو) وهى المعروفة بديكولتيه

وكان الرقص (كما رواه مانيثو المصرى وغيره من المؤرخين وعلما الآثار) حلقات مستديرة كنساء البدو وأزواجًا كنساء الإفرنج أو فرادى كنساء الشرق، وكانت البنات تعزف أمامهن بالصنوج والمزمار، ومن كانت أعظمهن فى علم الموسيقه وأحسنهن فى رخامة الصوت تستحق ان تخدم في المعابد، وكان لهنَّ ملابس خصوصية بيضاء وعليها علامة لنساء أمون القديسات، وهى واسعة ومطبرقة على الصدر حتى آخر الرقبة وطويلة الذيل والأكمام

وهكذا لما دعى يوسف الصديق أباه وإخوته ونساهم فى خلال سنة ١٧٤٠ ق.م ليكونوا رعاة لمواشى فرعون انبهرت أعينهم عند مشاهدتهم عظمة المصريين وعلومهم وآدابهم ومعارفهم وتمدنهم، لا سيما مما رأوه عندهم من آلات حراثة الحقول وحصد البقول وصبغ الزجاج بألوان مختلفة ومذهبة، وما كان لديهم من تمهيد سبل التجارة مع الهند وشبه جزيرة العرب، وما اشتهروا به من صناعة التحنيط ورفع الأثقال وتفننهم بأنواع الصاغة الفضية والذهبية

ولم يكن اندهاشهم بأعظم من اندهاش ليا وراحيل سيدتان بنى اسرائيل عند مشاهدتهما ما لنساء مصر من الحرية والكرامة والسطوة والسيادة والاحترام

فهولاء هم نساء ورجال قدماء مصر من عهد أربعة آلاف سنة أو أكثر، وهذه

آثارهم تدل على ما كانوا عليه من التمدن والآداب والعلوم والمعارف والصنايع بل ولنا بالأهرام وأبى الهول والمسلات وخرائب مدينتى منف وثيبت وخلافهما من المدن العظيمة وما بها من الهياكل والتماثيل والأعمدة والنقوش والزخرفة شاهداً على ما كانت عليه هذه الأمة من علو المنزلة ورفعة المقام فى عالم التمدن والآداب، بينما كانت أمة الأغريق (قدماء اليونان) تسكن المغاير وتحت المظال

وبعد عشرون قرنًا من ذلك الزمن بينما كانت الاسكندرية زاهية زاهرة بآداب وتمدن البطليموسيين مدة ٢٨١ سنة (اولهم بطليموس واخرهم كليوباطرة) كان الغاليون (قدماء فرنسا) والبريطانيون (قدماء الانكليز) على الفطرة الطبيعية الجرمانيون (قدماء الالمان) معروفون ببرابرة الشمال بزمن كانت به الإسكندرية مخزنًا عامًا لكنوز ومؤلفات علوم المصريين والصينيين والهنديين والكلدانيين والماديين واليونانيين، وكانت هذه المجلدات مجموعة فى خزانتى الأم والبنت، فضلاً عما كانت عليه نساء مصر من عهد أو قبل فرعون يوسف من الحرية والآداب والتمدن بعلومهنَّ ومعارفهنَّ آدابهنَّ وعفافهنَّ وحريتهنَّ وملابسهنَّ وعوائدهنَّ وهيئاتهنَّ، ولم يسمع فى مدة ٢٠٠٠ سنة أن امرأة مصرية فقدت عهد الطهر والعفاف الاَّ بما ندر لأن القانون المصرى الذى وضعه كهنة الأقباط وصار مرعى الأجراء كان يقضى على من سقطت عن دائرة الاعتدال بجدع أنفها وحرمانها من اللوح المكتوب عليه عهد زواجها، ومن باتت مجدوعة الأنف ومحرومة من هذا اللوح تحرم من جميع حقوقها المدنية والادبية والعائلية، ولا يعود لها حق الدخول الى المعابد ولا بخدمة الآلهة ولا من الاشتراك فى الولائم والمراسح والمراقص بل تصبح كعضو ساقط من كافة الهيئات، وتورث بناتها الذل والعار ولا يمحى عنهن ما لم يندمجن بخدمة المعابد ويحصلن بجدهن ومعارفهن وعلومهن على وسامات الشرف الممنوحة لهن من نساء آمون القديسات لأن من تلألأ على صدرها أحد هذه الوسامات استحقت الاعتبار والاحترام والتعظيم والإكرام

ولذلك كانت المرأة المصرية من أحرص الأمم على الطهر والعفاف ومن أعظمهن تفننًا وعلمًا فى معرفة الألحان والعزف على الآلات الموسيقيه وكافة أنواع الرقص والعلوم الرياضية والجنماستيكية

بل وكن يرافقن الرجال فى كافة خطواتهم حتى وفى السباحة فى النيل والسباق على ظهور الصافنات وهن على الجنب الواحد كنساء الإفرنج الان وفى صيد الطيور والأسماك وفى العلم والآداب حيث كان التعليم إجباريًا على كل ابنة بلغت سن الثامنة من العمر

وكل زوجة كانت غير كفوء لإدارة البيت وتربية الاولاد يحق لزوجها أن يتزوج عليها ويجعلها تحت سيادة زوجته الجديدة لا يسمع لها رأيًا ولا يطيع لها أمرًا

كل ذلك كان مبدأه من حكمة كهنة المصريين الذين أوصلوا مصر والمصريين الى شامخ المجد وعظيم الفخر بجعلهم المرأة المصرية مصبًا للآداب وعنوانًا للتمدن ومثلاً للفضيلة ونموذجًا للطهر والعفاف، وما ذلك إلاَّ لعلمهم بأن المرأة هى العضو الأكثر أهمية وفائدة فى جسم الكون وبصلاحها صلاح الرجل وبفسادها فساده، ومن المعلوم أن الرجل مع معرفته بأنه رأس المرأة وأقوى منها ضلعًا وأشد منها ساعدًا وأغزر منها عقلاً وانبل منها فكرًا لا يقبل نفسه أن يكون منحطًا عنها فى مقام الفضل ومراتب الكمال بل يجد بملء قوته إلى أن يسبقها فى مضمار العلم والآداب، ومتى وجدت المناظرة بين الجنسين عظم حال الإنسان وارتقى من حسن إلى أحسن حتى يبلغ ذروة المجد والفضل ويعود عمله على نفسه ووطنه بالخيرات والبركات

وقد كفانا بما نراه الآن بين نساء الإفرنج من العوائد والأزياء المأخوذ معظمها عن نساء قدماء مصر، مما سنفرد له فصولاً متتابعة ان شاء الله

« البقية تأتى»